

التبيان في تفسير القرآن

(164) الذي يحتاج اليه ليختار عنده الايمان، وذلك لا يقدر عليه غير الله لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو باعلامه، لأنه لا يعلم، ما يصلح العبد في دينه إلا الله تعالى، فإذا دبر الامور على ما فيه صلاحه كان لاطفا له، وهذا التدبير لا يتأتى من أحد سوى الله تعالى، فلذلك نفى الله ذلك عن نبيه، ويؤيد ما قلناه قوله " وهو أعلم بالمهتدين " ومعناه هو أعلم بمن يهتدي باللفظ ممن لا يهتدي، فهو تعالى يدبر الامور على ما يعلم من صلاح العباد، على التفصيل من غير تعليم. وهذه الآية نزلت لان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يحرص على إيمان قومه ويؤثر أن يؤمنوا كلهم، ويجب أن ينقادوا له ويقروا بنبوته، وخاصة أقاربه. فقال الله تعالى له: إنك لا تقدر على ذلك، وليس في مقدورك ما تطف بهم في الايمان ذلك بل في مقدور الله يفعل به من يشاء إذا علم أنهم يهتدون عند شيء فعله بهم فلا ينفع حرصك على ذلك. وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم أنها نزلت في أبي طالب. وعن أبي عبد الله وأبي جعفر إن أبا طالب كان مسلما وعليه اجماع الامامية، لا يختلفون فيه، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها. ثم قال تعالى حاكيا عن الكفار انهم قالوا: إن نتبع محمدا وما يدعونا اليه ونقول انه هدى وموصل إلى الحق " نتخطف من أرضنا " وقيل: إنها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف، فانه قال للنبي (صلى الله عليه وآله) انا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الذي معك، ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعني مكة، ولا طاقة لنا بالعرب فقال الله تعالى * (أو لم يمكن لهم حرما آمنا) * فالتخطف اخذ الشيء على الاستلاب من كل وجه: تخطف تخطفنا واختطف اختطافا وخطفه وخطفه خطفا قال امرؤ القيس: